

تفريغ لخطبة جمعة بمسجد الرباط بسرت - ليبيا
العلم للعمل
لفضيلة الشيخ أبي همام الأثري حفظه الله
تركي بن مبارك البنعلي
للإعلام



الطبعة الأولى

1436 هـ 2014 م



تفريغ لخطبة الجمعة بمسجد الرباط بسرت(ليبيا) بعنوان :

العلم للعمل

لفضيلة الشيخ

تركي بن مبارك البنعلي

حفظه الله

إن الحمد لله؛ نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، وصفيه وخليله، بلغ الرسالة، وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في سبيل الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، وتركنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على المحجة البيضاء؛ ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ولا يتنكبها إلا ضال.

أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله، وإن خير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإن شر الأمور محدثاتها، وإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فقد حث الله سبحانه وتعالى على العلم وعلى طلبه، وبيَّن فضل العلماء؛ فقال الله سبحانه وتعالى من جملة ما قال: (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) [طه: ١١٤]،أمر النبي ﷺ بطلب الازدياد من العلم، ولم يأمره بالازدياد من شيء إلا من العلم، وحسبك بها منقبة وفضيلة سامية سامقة للعلم وللتعلم.

النبي ﷺ كما روى ذلك الإمام مسلم في صحيحه - قال: (من سلك طريقًا يلتمس فيه علمًا؛ سهل الله له به طريقًا إلى الجنة).

كذا رفع الله سبحانه وتعالى من شأن العلماء؛ فقال: (يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ) [المجادلة:١١]، هي درجات عالية سامقة رفيعة، ولكن في ذات الوقت: الله سبحانه وتعالى أنزل وأحط من درجات من لا يعمل بعلمه، أولئك العلماء الذين يعملون

بعلمهم رفعهم الله سبحانه وتعالى، وكذا جاء عن رسول الله ﷺ كما عند البخاري: (إن الله سبحانه وتعالى يرفع بهذا الكتاب أقوامًا، ويضع به آخرين).

من الذين رفعوا؟ هم الذين أخذوه بحقه كما قال الله تعالى:(خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ) [مريم: ١٢]، بقوة.. ليس معناه بتنطع أو بشدة، أو بنحو ذلك، وإنما بقوة؛ أي بالعمل بما فيه، كما جاء ذلك عن أهل التفسير رحمهم الله.

الله جل في علاه؛ كما رفع من أولئك العاملين بالعلم: وضع من شأن الذين لا يعملون بالعلم؛ فقال: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ، وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا)؛ أي لرفعناه بالآيات، لرفعناه بالعلم، (وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ) [الأعراف: ١٧٥-١٧٦]، هؤلاء الذين لا يعملون بالعلم: لا يرفعون له رأسًا، يكتفون بأن يستقوا العلم من الكتب ويضعوه في الكتب!

لربما تقرأ كتابًا لبعضهم فتظنه وتتصور صورته في مخيلتك أنه الإمام الحسن البصري في زهده وتقواه، أو أنه يشبه الحافي في ورعه عن الدنيا وسفاسف الأمور!

فإذا ما يسر الله سبحانه وتعالى لك برؤية ذلك المصنِّف، ذلك الكاتب، ذلك المؤلف؛ فإذا به حليق اللحية، وإذا به من المدخنين، وإذا به من المسبلين، وإذا به من الكذابين الأفاكين، وإذا به من المتقولين على الله، على الرسول، الساعين بالنميمة بين الناس والغيبة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وتسمع بالرجل خير من أن تراه!

كذا ذكر الله سبحانه وتعالى لهم وصفًا آخر، كما وصفهم وشبههم بالكلاب أعزنا وأعزكم الله، كذلك شبههم بالحمير؛ قال الله سبحانه وتعالى: (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا) [الجمعة: ٥]،الذين حُملوا التوراة تعلموها، ولربما حفظوها، ولربما

استرهبوها، هم زيادة نسخ فحسب في المكاتب والمكتبات، (ثم لم يحملوها) لم يعملوا بما فيها، بما جاء فيها من أوامر، من نواهٍ، لم يصدقوا ما فيها من أخبار، (كمثل الحمار يحمل أسفارًا) حمار وُضع على ظهره مجموعة من الكتب، حمار يحمل البخاري، مسلم، الكتب الستة،كتب الفقه على ظهره، هل يستفيد منها شيئًا؟ هل يرفع بها رأسًا؟

اللّٰهم إلا التعب والنصب، فحامل العلم وحامل القرآن وحامل الذكر؛ هو بين أمرين لا ثالث لهما: إما غانم، وإما غارم، لا منزلة بين المنزلتين، غانم إذا عمل بما في العلم، بما في القرآن، بما في السنة، وحكَّمها على نفسه وعلى غيره.

وأما كونه من الغارمين؛ فإذا لم يعمل بما جاء في الكتاب والسنة بما حفظه وتعلَّمه من هذا العلم، فهو غارم آثم والعياذ بالله.

لذلك جاء في صحيح مسلم عن رسول الله ﷺ أنه قال: (والقرآن حجةٌ لك أوعليك)؛ القرآن إما أن يكون حجةً لك أو عليك يوم القيامة، إذا عملت به فهو حجة لك، وإذا لم تعمل به فهو حجة عليك.

لذلك رُوي: (كم من قارئٍ للقرآن والقرآن يلعنه)، يمر على آيات لعن الله سبحانه وتعالى للظالمين وهو يظلم العباد والبلاد؛ بتحكيم غير شريعة رب العالمين، يمر على آيات لعن الله لآكل الربا وهو يأكل الربا لا يزدجر عن ذلك الإثم العظيم، فكم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه! أي بهذا المعنى، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

هذا الإمام سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لما بدأ في طلب العلم وفي حفظ حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ أوقفته والدته فقالت: "يا بني؛ انظر إنْ غيرَّت هذه الأحاديث فيك شيئًا فاستمر في الحفظ - في حفظ غيرها -، وإلا فقف، فإنه أعذر لك عند الله".

لذلك قال بعض أهل العلم: "لأن أرتكب المعصية وأنا جاهل بها خيرٌ من أن أرتكب المعصية وأنا عالمٌ بها"، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

روي عن بعض الأئمة، وقيل إنه الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ؛ لمّا رأته والدته قد عكف على الكتب والنظر فيها، قالت له: "يا بني؛ لا تُكثر حُجج الله عليك، أنت تقرأ وتتعلم ثم لا تعمل بهذا العلم"، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

(ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ) ماذا؟ (بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) [النحل: ٣٢]،ولم يقل: بما كنتم تعلمون، فالذي يعلم ولا يعمل والعياذ بالله: سيوقف بين يدي الله، ويُسأل عن ذلك العلم، الذي كان هو بمثابة الحجة على فاعله.

إذًا فالعلم وسيلة لعبادة الله سبحانه وتعالى على بصيرة، وليس بغاية. لا بد أن يُعلم ذلك. لذلك جاء فيما رواه الإمام الترمذي رحمه الله، والإمام الدارني، وصححه الشيخ الألباني؛ أن النبي ﷺ قال: (لن تزول قدما عبدٍ يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه، وفيمَ أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به) هل أطاع به الله؟ هل واظب على الواجبات؟ هل واظب على ترك المحرمات والمنهيات والمحظورات؟ أم أنه سار في غيه ولم يبالِ فيما أودعه الله سبحانه وتعالى في صدره من علم عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم؟ قال الله تعالى – في السورة التي لا تصح صلاة إنسان إلا بها –: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ *) [الفاتحة: ٦، ٧].

(**المغضوب عليهم**): كما جاء ذلك عن رسول الله، وعمن بعده صلى الله عليه وآله وسلم: هم اليهود الذين ضلوا عن علم؛ يعلمون ويتكبرون، ويأنفون عن طاعة الله سبحانه وتعالى، يعرفونه كما يعرفون أبناءهم، ولم يقل الله سبحانه وتعالى: آباءهم؛ فليس كل منهم، أو وليس

كلًّا منهم يعلم من هو أبوه، ولكن الكل.. الجميع يعلم من هو ابنه، فيعلمون النبي ﷺ ، وصدْق النبي ﷺ ، وماذا جاء به؛ كما يعرفون أبناءهم، ولكن ضلوا عن علم.. أولئك اليهود.

و(**الضالون**): هم النصارى الذين ضلوا عن جهل؛ لذلك قال الإمام سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "مَن ضل مِن علمائنا؛ ففيه شبه باليهود، ومَن ضل مِن عُبّادنا؛ ففيه شبه بالنصارى".

فانظر يا عبد الله! حذار حذار أن تتشبه باليهود، وحذار حذار أن تتشبه بالنصارى. ولكن تتشبه بمن؟ تتشبه بخير الخلق أجمعين ﷺ ، كما جاء عند مسلم في صحيحه، من حديث عائشة لما سُئلت عن رسول الله ﷺ عن أخلاقه؛ قالت: (كان خُلقه القرآن) ﷺ، أي يعمل بالقرآن في حياته اليومية، سواءً ما يتعلق بالعقيدة أو الشريعة، أو الأخلاق، أو الآداب، أو المعاملات، في كل ذلك هو يتقيد بالعلم الذي تعلمه، بالعلم الذي كرس حياته لأجله..

ما أكثر اليوم من يتفقه في دين الله سبحانه وتعالى، ما أكثر الخريجين من الجامعات والمعاهد والأكاديميات، ولكن أين العمل؟! قليلٌ هوْ: (وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) [سبأ: ١٣]؛ لذلك جاء في الحديث عند مسلم من حديث زيد بن الأرقم رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأرضاه؛ أنه قال: "ألا أقول لكم ما قال رسول الله ﷺ ؟ قال: (اللّهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن نفسٍ لا تشبع).

من علم لا ينفع، ما هو العلم الذي لا ينفع؟ هو الذي لا يتبعه عمل، العلم إذا كان غاية وليس بوسيلة إلى العمل الصالح؛ فذلك هو العلم الذي لا ينفع والذي نتعوذ بالله منه، لذلك روي عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، فيما أخرجه الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ : (العلم يهتف بالعمل، فإن أجابه وإلا ارتحل).

عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وأرضاه يقول: "تعلموا واعملوا بالعلم".

كذلك كان عامة أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيما رُوي من غير طريق؛ أنهم لا يتجاوزون الثمان آيات أو العشر آيات إلا بعد أن يتعلموا ما جاء فيها من علم وعمل، هكذا كان الصحابة رضوان الله تبارك وتعالى عليهم، لذلك بَزُّوُا غيرهم.

كذلك قال وكيع رَحِمَهُ ٱللَّهُ : " كنا أو كانوا يستعينون على حفظ العلم بالعمل به".

والإمام أحمد رحمه الله إمام أهل السنة والجماعة يقول: "ما رويت حديثًا إلا وقد عملت به".

كذلك يقول الإمام عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ : "إذا عملت بما تعلم؛ أورثك الله علم ما لا تعلم".

هكذا هم السلف رضوان الله تبارك وتعالى عليهم؛ علم وعمل، وليس علمًا فحسب، لذلك قيل:

وعالمٌ بعلمِهِ لم يَعملنْ   مُعذبٌ من قَبْلِ عُباد الوثنْ

وقانا الله وإياكم ما يُعذب به عُباد الوثن.

أقول ما تسمعون، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أحمدك اللّٰهم ربي، وأسألك أعلى رتب الشهادة، وأستغفرك لما تعلمه مني وأنت عالم الغيب والشهادة، وأشهد أن لا إله إلا أنت، وأستودع عندك هذه الشهادة، وأصلي وأسلم على من له السيادة والقيادة والريادة، وعلى آله وصحبه أهل الجهاد والعبادة، أما بعد: فهذا الكلام وهذا الشأن الخطير؛ إنما هو في من لم يعمل بعلمه، فكيف بمن تجاوز ذلك سلبًا؛ فعمل بخلاف علمه، بمضاد ما تعلمه؟!العلم شيء، وعمله وواقعه شيء معاكس، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الله سبحانه وتعالى يقول:{أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [البقرة: ٤٤] أفلا تعقلون؟!

كيف يأمر الإنسان غيره إلى طاعة الله، وهو أول من يحتاج الى ذلك الكلام؟! هو بعكس ما يقول، بعكس ما يأمر، بعكس ما ينهى.

لذلك قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ - كما روى ذلك أبو نعيم في حُلية الأولياء - قال: " كان الناس أو وجدنا الناس من الآمرين بالمعروف: هم أول من يمتثل ذلك المعروف، ومن الناهين عن المنكر: هم أول من ينتهي عن ذلك المنكر، قال: ووجدنا أقوامًا يأمرون بالمعروف ولا يفعلونه، وينهون عن المنكر ويفعلونه، فكيف العيش مع هؤلاء؟!".

رحم الله الإمام الحسن البصري! لو عاش إلى زماننا هذا، ورأى وفرة العلم والعلماء، وقلة العمل، وقلة السالكين على الدرب!

قال الله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ *كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ*) [الصف: ٢، ٣]، لذلك لما ذكر الإمام ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ مجموعة من

الكبائر؛ ذكر منها وعدَّ من جُملة الكبائر والموبقات: "أن يقول الإنسان ويتفوه بما لم يعمل، أو لا يعمل" والعياذ بالله.

لذلك جاء في صحيح مسلم، من حديث أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأرضاه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: (يُؤتى بالرجل فيلقى في النار حتى تندلق أمعائه، فيدور بها كما يدور الحمار في الرحى، فيقول له أهل النار: يا فلان؛ ألم تكن تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟!)، كان من العلماء، كان من الشيوخ، من الدكاترة، من الأساتذة، إلى غير ذلك من الألقاب، (ألم تكن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟ قال: بلى؛ كنت آمر بالمعروف ولا آتيه، وكنت أنهى عن المنكر وآتيه).

والعياذ بالله، نعوذ بالله من أن نكون جسورًا يعبر الناس فوقها إلى الجنة، ثم يلقى بنا إلى النار.

جاء في الحديث الذي رواه الإمام الطبراني رحمه الله،عن رسول الله ﷺ أنه قال: (ليحذر أحدكم أن يكون كالسراج؛ يضيء لغيره ويحرق نفسه)، وفي رواية للإمام البزَّار رَحِمَهُ اللَّهُ : (ليحذر أحدكم أن يكون كالفتيلة؛ تحرق نفسها وتضيء لغيرها).

المسلم لا بد أولًا على نفسه أن يعمل بعلمه ثم يدعو إليه، كما قال الشيخ المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله:

عليك أن تعلم هذه المسائل:

الأولى / العلم (ليس الدعوة إليه – بل –)

الثانية / العمل به.

الثالثة / الدعوة إليه.

الرابعة / الصبر على الأذى فيه.

روى الإمام أحمد رحمه الله عن رسول الله ﷺ : (أنه لما أسري به في حادثة الإسراء والمعراج؛ مرَّ على أقوام تُقرَّض شفاهُهُم بمقاريض من نار، فسأل عنهم: من هؤلاء؟ فقيل له: هؤلاء خطباء الدنيا؛ الذين يأمرون بالمعروف ولا يفعلوه، وينهون عن المنكر ويفعلونه)، وفي رواية: (قيل له: هؤلاء خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون) والعياذ بالله.

(وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ) [هود: ٨٨]،هكذا قال شعيب عليه السلام، وهكذا سار الأنبياء وورثة الأنبياء، كما جاء في مسند عند الإمام أحمد عن الرسول ﷺ أنه أخبر: (والعلماء ورثة الأنبياء)، هل ورثوا منهم علمًا دون عمل؟! حاشا حاشا، وإنما ورثوا العلم والعمل به، هكذا نحن ندعو أنفسنا إلى ذلك وندعو غيرنا؛ أنهم إذا سمعوا: قال الله وقال رسول الله ﷺ من العلم: أن يعملوا به في أنفسهم أولًا، وفي غيرهم ثانيًا، ويدعوا إليه، ثم يصبروا على الأذى فيه.

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يبرم لهذه الأمة أمر رُشدٍ؛ يُعز به أهل طاعته، ويُذل فيه أهل معصيته، ويُؤمر فيه بالمعروف، ويُنهى فيه عن المنكر، اللّهم أظهر عز الإسلام وأعز المسلمين، اللّهم أظهر عز الإسلام وأعز المسلمين، اللّهم انصر عبادك المجاهدين في كل مكان، فوق كل أرض وتحت كل سماء، يا حي يا قيوم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على أشرف الأنبياء وإمام المرسلين.